

القصيدة

بُشْرَى لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
ظَهَرَتْ بُرُوقُ عِنَايَةِ الْحَنَّانِ
النَّيِّرَانِ بِهَذِهِ الْبُلْدَانِ
وَبِشَارَةٍ مِنْ سَيِّدِ خَيْرِ الْوَرَى
وَلَهَا كِصَاعِقَةُ السَّمَاءِ مَهَابَةٌ
الْيَوْمَ يَوْمٌ فِيهِ حَصْحَصَ صَدَقْنَا
الْيَوْمَ يَيْكِي كُلُّ أَهْلِ بَصِيرَةٍ
وَمُصَدِّقًا أَنْوَارَ نَبَأِ نَبِيِّنَا
الْيَوْمَ كُلُّ مَبَايِعِ ذِي فَطْنَةٍ
الْيَوْمَ مِنْ عَادَى رَأَى خُسْرَانَهُ
الْيَوْمَ كُلُّ مُوَافِقِ ذِي قَرْبَةٍ
ظَهَرَتْ كَمِثْلِ الشَّمْسِ حُجَّةُ صَدَقْنَا
مَاتَ الْعِدَا بَتَفَكُّنٍ وَتَنْدُمٍ
اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ أَبْدَى آيَةً
هَلْ كَانَ هَذَا فَعَلَ رَبُّ قَادِرٍ
هَذَا نَجْوَمٌ أَوْ مِنَ الْجَفْرِ الَّذِي
فَارَجِعْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَخْزَى الْعِدَا
الْيَوْمَ بَعْدَ مَرُورِ شَهْرِ صِيَامِنَا
الْيَوْمَ يَوْمٌ طَيِّبٌ وَمُبَارِكٌ

طُوبَى لَكُمْ يَا مَجْمَعَ الْخُلَّانِ
وَبَدَا الصَّرَاطُ لِمَنْ لَهُ الْعَيْنَانِ
خُسْفًا بِإِذْنِ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ
ظَهَرَتْ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْأَدْرَانِ
وَتَشَدُّرٌ كَتَشَدُّرِ الْفَرَسَانِ
قَد مَاتَ كُلُّ مَكْذِبٍ فَتَّانٍ
مَتَذَكَّرًا لِلْمَرَّاحِمِ الرَّحْمَنِ
وَمَعْظُمًا لِمَوَاهِبِ الْمَنَانِ
ازداد إيمانًا على إيمانٍ
والتَّاحَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّيِّرَانِ
قَد شَدَّ رَبَطَ جَنَانِهِ بِجَنَابِنِي
أَوْ كَالْخَيْوَلِ الصَّافِنَاتِ بِشَانِ
وَالْحَقُّ بَانَ كَصَارِمٍ عَرِيَانِ
كَشَفَ الْغَطَا بِإِنَارَةِ الْبِرْهَانِ
أَمْ هَلْ تَرَاهُ مَكَائِدَ الْإِنْسَانِ
فَكَّرْتَ فِيهِ كَمَفْتَرِ فَتَّانٍ
وَأَهَانَ كُلَّ مَكْفُرٍ لَعَّانٍ
عِيدٌ لِأَقْوَامٍ لَنَا عِيدَانِ
يُخْزِي بِآيَتِهِ ذَوِي الطَّغْيَانِ

فهوى شَقًّا في هُوَّةِ الخسرانِ
 مَنْ يُهْلِكُنَّهْ وَإِنْ سَعَى الثَّقَلَانِ
 ثُمَّ انظُرُوا إِكْرَامَ مَنْ صَافِنِي
 ثُمَّ انظُرُوا إِعْظَامَ مَنْ وَالَانِي
 ثُمَّ انظُرُوا إِقْدَامَ مَنْ نَاجَانِي
 أَفَأَنْتَ أَعْمَى أَوْ أَخُ الشَّيْطَانِ
 فَارْتَوُوا بِنَظَرِ طَاهِرٍ وَجَنَانِ
 أَفَأَنْتَ تُنْكَرُ مَوْعِدَ الْفِرْقَانِ
 كُتُبُوا لَوَجْهِ اللَّهِ مِنْ أَعْوَانِي
 تَوْبُوا مِنَ الْإِفْسَادِ وَالطَّغْيَانِ
 وَكَخَائِفِ خِرِّوَا عَلَى الْأَذْقَانِ
 وَالشَّمْسِ تَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ
 فِي مُلْكِكُمْ لِمُؤَيِّدِ سَبْحَانِي
 أَوْ آيَةِ عَظْمَى عَظِيمِ الشَّانِ
 كَهْفِ الْأَنْامِ وَسَيِّدِ الشَّجْعَانِ
 وَتَبَيَّنَتْ طَرُقَ الْهُدَى وَمَكَانِي
 وَيْلٌ لِمُجْتَرِيٍّ مُصِرِّ جَانِ
 شَهْرٌ بِهَذَا الْوَصْفِ فِي الْأَزْمَانِ
 يُبْدِي الْحَبَّةَ بَعْدَمَا عَادَانِي
 وَيَمزِقُ الدَّجَالَ ذَا الْهُدْيَانِ

مَنْ حَارِبَ الْمَقْبُولَ حَارِبَ رَبِّهِ
 مَنْ كَانَ فِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَعَوْنِهِ
 كِيدُوا جَمِيعًا كُلُّكُمْ لِإِهَانَتِي
 قُومُوا لِتَحْقِيرِي بِعِزِّ وَاحِدٍ
 كُونُوا كَذُوبًا ثُمَّ صُولُوا بِالْمُدَى
 هَلْ يَسْتَوِي أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَا
 الْوَقْتُ يَدْعُو مَصْلِحًا وَمَجْدِدًا
 أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يَخْلِفُ وَعْدَهُ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتْرُكُوا طَرُقَ الْإِبَابِ
 يَا أَيُّهَا الْعَادُونَ فِي جَهْلَاتِهِمْ
 لَا تُغْضِبُوا الْمَوْلَى وَتُوبُوا وَاتَّقُوا
 الْقَمَرَ يَهْدِيكُمْ إِلَى نُورِ الْهُدَى
 ظَهَرَتْ لَكُمْ آيَاتُ خَلْقِ الْوَرَى
 هَلْ هَذِهِ مِنْ قَسَمِ عَمَلٍ مُنْجِمٍ
 هَذَا حَدِيثٌ مِنْ نَبِيِّ مُصْطَفَى
 جَلَّتِ الْفَتْوحُ وَبَانَ صَدَقَ كَلَامُنَا
 أَفْبَعْدَمَا كُشِفَ الْغَطَا بَقِيَ الْإِبَابِ
 مَا كَانَ قَطُّ وَلَا يَكُونُ كَمِثْلِهِ
 شَهِدْتُ يَدَ الْمَوْلَى فَهَلْ مِنْكُمْ فَتَى
 وَأَرَادَ رَبِّي أَنْ يُرِيَ آيَاتِهِ

لا تسمعن أصواته آذاني
 من خير خلق الله والقرآن
 واختار جهلا وادي الخذلان
 ويرون آياتي ونور بياني
 لا ينظرون مواقع الإمعان
 قمرٌ فيرتابون بعد عيان
 بوساوس دخلت من الشيطان
 اليوم أنزلتم بدار هوان
 والله برٌّ واسع الغفران
 فاسعوا بصدق القلب يا فتياي
 نورٌ يرى الداني فهل من دان؟
 ما عذركم في حضرة السلطان
 ذي مُصمِياتٍ مُوبِقِ الفتنان
 رعبَ العدا من عسكرٍ روحاني
 وبدا الهدى كالدرر في اللمعان
 رجلا حريصَ السفك والإثخان
 فتلاعبوا بالدين كالصبيان
 تتلون ألفاظًا بغير معان
 حقٌ وربِّي يسمعن ويراني
 ما جئتكم كمحاربٍ بسنان

إني أرى كالميت من آذاني
 هذا زمان قد سمعتم ذكره
 من فاته هذا الزمان فقد هوى
 كم من عدو يشتمون تعصبا
 وخيالهم يطفو كحوتٍ ميتٍ
 شهدت لهم شمس السماء ومثلها
 خرجوا من التقوى وتركوا طرقه
 يا مكفري أهل السعادة والهدى
 توبوا من الهفوات يغفر ذنبكم
 قد جاء مهديكم وظهرت آية
 عندي شهادات فهل من مؤمن؟
 ظهرت شهادات فبعد ظهورها
 هذا أوان النصر من رب السما
 نزلت ملائكة السماء لنصرنا
 دخلت بروق الدين في أرض العدا
 أفرقُبون كظالمين جهالة
 لستم بأهل للمعارف والهدى
 لا تعرفون نكات صحف إلها
 قد جئتكم مثل ابن مريم غربة
 السيف أنفاسي ورُحِّي كلمتي

فاتركُ مراءَ الجهل والكفرانِ
 قُمْ واهلًا واطلبه كالظمانِ
 عن ذلك الوجه الذي أصابني
 واركنُ إلى الإيقان والإذعانِ
 لأنيرَ وجهَ البرِّ والعمرانِ
 أدعو عدوَّ الدين في الميدانِ
 وستعرفنَّ إذا التقى الجمعانِ
 قد بارزَ المولى لمن باراني
 ومؤيِّدي في سائر الأحيانِ
 أدخلتُ بحر العلم في الكيزانِ
 من ربنا الرحمن والديانِ
 ﴿خَسَفَ الْقَمَرُ﴾ وتَجافَ عن عدوانِ
 شرحًا لما يتلى من الفرقانِ
 فافرغُ إليه وخَلِّ ذِكْرَ أداني
 من وقع سيفِ قاطع وسانِ
 يُهدى ولا يصغى إلى بهتانِ
 عن مُرسَلٍ يهدي إلى الفرقانِ
 فتركُهم مع لوعة الهجرانِ
 حالاً كحالة مُرسَلٍ كنعاني
 فرجعتُ مَجْلُوءاً من الأحزانِ

حقُّ فلا يسع الورى إنكارُهُ
 يا طالبَ الرحمن ذي الإحسانِ
 بادِرُ إليَّ سأخبرتك مشفقاً
 أحرقُ قراطيس البغاوة والإبا
 أعطيتُ نوراً من ذكاء مهيمني
 بارزتُ لله المهيمنِ غيرَةً
 والله إنِّي أولُ الشجعانِ
 من كان خصمي كان ربِّي خصمه
 إنِّي رأيتُ يد المهيمن حافِظي
 من فضله إنِّي كتبتُ معارفنا
 يا قوم في رمضان ظهرت آيتي
 فاقراً إذا ما شئت آية ربنا
 ثم الحديث حديث آل محمد
 هذا كلامُ نبينا وحبينا
 هذا أشدُّ على العدا وجموعهم
 والحُرُّ بعد ثبوت أمرِ قاطع
 لا تُعرضوا عني وكيف صدودكم
 ما جاءني قومي شقاً وتباعدوا
 إنِّي رأيتُ بهجر قوم فارقوا
 وسألتُ ربِّي فاستجاب لي الدُّعا

ويكذبون الحق كالنشوان
وتأبّطوا الأوهام كالأوثان
تحتاج أثقال إلى ميزان
ونرى بريق الحق بالبرهان
فاليوم ليس لهم بذاك يَدان
والله إني مسلم ذو شان
شهدت سماء الله والمَلَوَان
وتركتُ دنياكم بعطفٍ عِنائي
وتبرأتُ من كل نَشْبٍ فانِ
والعقل كل العقل في الإمعانِ
فأضربني بجوارحٍ ولسانِ
متوارثٍ من قادمِ الأزمانِ
لله سلطانٌ على السلطانِ
هَذَانِ للكذابِ ينخسفانِ؟
وِيرِيكَ آيَاتٍ مِنَ الإِحْسَانِ
خُسْفَانِ وَأَنْتِ تَصُولُ كَالسَّرْحَانِ
هَذَانِ قَدْ جَاءَكَ كَالعِنْوَانِ
فَاسْتِيقِظُوا مِنْ رَقْدَةِ العَصِيَانِ
لَا يُنصِرُنْ بَلْ يُهْلِكُنْ كَالعَابِيَانِ
عَذَبَ المَوَارِدِ مَثْمِرَ الأَغْصَانِ

إنَّ العدا لا يفهمون معارفي
لا ينظرون تدبّرًا وتفكرًا
إنَّ العقول على النقول شواهدُ
إنَّ النُّهى مَلَكَتْ يَدَاهِ قلوبَنَا
إنَّ العدا يئسوا إذا كُشِفَ الهدى
يا لَاعِني خَفَ قَهْرَ رَبِّ قَادِرِ
والله إني صادق لا كاذبٌ
وَدَعَتُ أهوائي حُبَّ مهيمني
وتعلقتُ نفسي بحضرةٍ ملجأي
لا تعجلوا وتفكروا وتدبّروا
إن كنتَ لا تبغي الهدى وتكذبُ
والعَنُ ولعنُ الصادقين وسبُّهم
لن تُعجزوا بمكائد ربِّ السما
أنظُرْ ذُكَاءً ثُمَّ قَمْرًا مُنصِفًا
يا لَاعِني خَفَ قَهْرَ رَبِّ شَاهِدِ
قمر القدير وشمسه بقضائه
لله آيات يُريها بعدها
هذا من الله الكريم المحسنِ
من كان في بئر الشقا متهافتًا
لا تحسبوا برَّ الفساد حديقةً

وَتَبَاعَدُوا عَنْ ذَلِكَ اللَّهْبَانِ
 وَاحْشَوْا الْمَلِيكَ وَسَاعَةَ اللَّقِيَانِ
 بُشْرَى لَتَوَابٍ إِذَا لَاقَانِي
 فَاسْعُوا إِلَى بَسْتَانِهِ الرِّيَّانِ
 قَدْ خَصَّكُمْ بِعِنَايَةٍ وَحَنَانِ
 وَتَبَاعَدُوا مِنْ مَعْتَدٍ لَعَّانِ
 وَتَسَتَّرُوا بِمَلَاخِفِ الْإِيمَانِ
 عَنْ رَبِّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْحَدَثَانِ
 كَالدَّرِّ أَوْ كَسَبِيكَةِ الْعَقْيَانِ
 دُرَّرَ مِنَ الْمَوْلَى وَنُظِمَ بِنَانِي
 رَيْقُ الْكِرَامِ وَنُخْبَةُ الْأَعْيَانِ

لا تظلموا لا تعتدوا لا تجرؤوا
 لا تكفروا يا قومِ ناصِرَ دينكم
 قد جئتكم يا قومٍ من ربِّ الورى
 أرسلتُ من ربِّ الأنامِ فجئتكم
 هذا مقام الشكر إنَّ مُغيثكم
 يا قوم قوموا طاعةً لإمامكم
 قد جاء يومُ الله فارثوا واتقوا
 لا يُلهِككم غولٌ دنيٌّ مفسدٌ
 قد قلتُ مرتجلاً فجاءت هذه
 ما قلتُها من قوتي لكنها
 يا ربِّ باركها بوجهِ محمدٍ

ثم اعلم أن الله نفث في روعي أن هذا الخسوف والكسوف في رمضان آيتان مخوفتان، لقوم اتبعوا الشيطان، وآثروا الظلم والطغيان، وهيجوا الفتن وأحبوا الافتنان، وما كانوا منتهين. فخوفهم الله بهما وكل من تبع هواه وخان، وترك الصدق ومان، وعصى الله الرحمن؛ فيتأذن الله لئن استغفروا ليغفرن لهم ويؤري المن والإحسان، ولئن أبوا فإن العذاب قد حان. وفيهما إنذار للذين اختصموا من غير الحق، وما اتقوا الرب الديان، وتهديد للذي أبا واستكبر وما ترك الحيران، فاتقوا الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

وما لكم لا تخافونه وقد ظهرت آية التخويف من رب العالمين. وقد ثبت في الصحيحين عن نبي الثقلين وإمام الكونين ﷺ في الدارين، أنه قال لتفهم أهل الإيمان إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آياته يخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتها فافزعوا إلى الصلاة، فانظر كيف أوصى سيد السادات وخاتم النبيين. وفي الحديث إشارة إلى أن تلك الآيتين من الرحمن مخصوصتان لتخويف عصاة الزمان، ولا يظهران إلا عند كثرة المعاصي وغلو الخلق في العصيان، وكثرة الخبيثات والخبيثين، ولأجل ذلك أمر ﷺ عند رؤيتهما لفعل الخيرات والمبادرة إلى الصالحات من الصلوات والصدقات بإحاض النيات والدعاء والبكاء كالقانتين والقانتات، والرجوع إلى الله والذكر والتضرعات، والقيام والركوع والسجودات، والتوبة والإنابة والاستغفار، وطلب المغفرة

من الغفار، والخشوع والابتهاال والانكسار، ومثل ذلك على حسب الطاقة من الإحسان وفكّ الرقبة والعناقة ومواساة اليتامى والغرباء، والتذلل كل التذلل في حضرة الكبرياء، ربّ السماوات والأرضين. فكان السرّ في هذه الأعمال والخشوع والابتهاال أن الشمس والقمر لا تنكسفان إلا عند آفة نازلة وداهية منزلة، وعند قرب أيام البأس وانعقاد أسباب الشر الذي ◆ هي مخفية عن أعين الناس، ويعلمها رب العالمين. فتقتضي رحمة الله تعالى وحكمته التي تري اللطف والجمال، أن يعلم الناس عند كسوفٍ طرّقاً هي تدفع موجباته وتزيل سيئاته، فعلمهم هذه الطرق على لسان خير المرسلين. ولا شك أن الحسنات يُذهبن السيئات، وتطفي نيراناً دموعُ المستغفرين. وإذا عمل عبداً عملاً صالحاً بإمحاء النية وكمال الطاعة، وأرضى به ربه بتحمّل الأذى، فيعارض هذا العمل الذي كسبه الشر الذي انعقد سببه، فيجعله الله من المحفوظين. وهذا من سنة الله أن الدعاء يردّ البلاء، ولا يلتقي دعاء وبلاء إلا وإن الدعاء يغلب بإذن الله إذا ما خرج من شفتي الأوابين، فطوبى للداعين.

وإذا كان كسوف أحد من الشمس والقمر دالاً على آفات الزمان، وموجب أنواع البلايا والخسار، فما بال زمان اجتمع فيه كسوفان، فاتقوا الله يا معشر الإخوان، ولا تكونوا من الغافلين.

لا يقال إن النيرين ينكسفان من أسباب أثبتت بالبرهان، وفُصِّلَتْ في الكتب بتفصيل البيان، فما لها وآفات تتوجه إلى نوع الإنسان، عند كثرة العصيان؟ لأن الأمر الذي مُثِّبٌ عند أولي العرفان هو أن الله خلق الإنسان ليدخله في المحبوبين المقبولين أو المردودين المطرودين، وجعل تغيرات العالم دالةً على خيره وشره، ونفعه وضره، وجعل العالم له كمثل المبشرين والمنذرين؛ وكلما أراد الله من عذاب وتعذيب أهل الزمان، فلا ينزل إلا بعدما أذنبت أيدي الإنسان، وأصرَّ عليه كإصرار أهل الطغيان، واعتدى كاجترئين.

وقد جعل لكل شيء سبباً في العالمين، وجعل كل آية مخوفة في الزمان تنبيهاً لأهل الشقاوة والخسران، وإنذاراً للمسرفين، ومبشرة للذين نزلوا بحضرة الوفاء، وحلوا محل الصفاء والاصطفاء منقطعين. وهذه سنة مستمرة، وعادة قديمة، تجد آثارها في قرون خالية، من حضرة متعالية، وكذلك جاء في كتب الأولين. وإن كنت في شك فانظر الإصحاح الثاني من صحف يوثيل والثاني والثلاثين من حزقييل، واتق الله ولا تتبع سبل المجرمين.

وحاصل الكلام.. أن الخسوف والكسوف آيتان مخوفتان، وإذا اجتمعا فهو تهديد شديد من الرحمن، وإشارة إلى أن العذاب قد تقرّر وأكّد من الله لأهل العدوان. ومع ذلك من خواصهما أنهما إذا ظهرا في زمان وتجلياً لبلدان، فينصر الله أهلها المظلومين، ويقوي المستضعفين المغلوبين، ويرحم قوماً أوذوا وكفروا ولعنوا من غير

حق، فينزل لهم آيات من السماء، وحمايات من حضرة الكبرياء، ويجزي المنكرين المعادين، ويحكم بالحق وهو أحكم الحاكمين. ويقضي بين المتشاجرين، ويقطع دابر المعتدين، فتصيبهم خجالة وإحجام، وتندم وانهمزام، وكذلك يجزي الكاذبين. يحبّ الضعفاء الأتقياء، ويُجِج أصلَ المفسدين الذين يتركون وصايا الحق ومواقعها، وَيَقْفُونَ ما ليس لهم به علم، ويقولون آمنا بالقرآن وما هم بمؤمنين. يصرون على أمور لا يعلمون حقيقتها، وأمروا بالتزام طرق التقوى فتركوها، وكفروا إخوانهم المؤمنين. أولئك يتسوا من أيام الله وبشارتها ونبذوها وراء أبعَدِ المُبَعَدِينَ، وسيعلمون كيف يكون مآل المفتنين الخائنين.

ومن خواص هذين الكسوفين أنهما إذا اجتمعا في رمضان، الذي أنزل الله فيه القرآن، فيُشِيع الله بعدها العلومَ الصادقةَ الصحيحة، وَيُطِيلُ البدعاتِ الباطلةَ القبيحةَ، ويهوي الناس إلى إمامهم باستعدادات شتى، وتجري من العلوم الحقة أثمارٌ عظمي، ويتوجه الخلق من القشر إلى اللبِّ، ومن البُغض إلى الحبِّ، ومن المجاز إلى الحقيقة، ومن التَّيِّه إلى الطريقة، ويتنبه الذين أخطأوا مشربهم من الحق والصواب، ويرجع الذين سرّحوا أفكارهم في مرعى التباب، ويتندم الذين ضاع من أيديهم تعظيمُ الإمام، ويتطهّر الذين تلطّخوا من أنواع الآثام، ويهيج تلك التأثيراتُ في قوى الأفلاك بحكم مالك الأحياء والإهلاك، فيمتلئ العالمُ من الوحدانية وأنوار العرفان،

ويُخزي الله حُماةَ الشرك والكذب والعدوان، وتأتي أيامُ جذبات الله بعد أيام الضلال، وتجد كل نفسٍ ما تليقُ بها من الكمال، فمن كان حَرِيًّا بمعارف التوحيد يعطى له غَضٌّ طَرِيٌّ من حقائق الكتاب المجيد، ومن كان مستعدًّا للعبادات، يُعطى له توفيق الحسنات والطاعات، ويجعل الله مقامَ المجدِّ مركزَ البلاد ومرجع العباد، ويبلغ أثره إلى أقصى الأرضين.

فالحاصل أن من خواصِّ هذا الاجتماع رجوع الخلق إلى الله المطاع، وعُسْر المتكبرين ويُسْر المنكسرين. ولله فيها تجليات جمالية وجلالية، فلا تعجب فإن الحضرة متعالية. فتقدم القمر على الشمس إشارةً إلى تقديم التجلي الجمالي، وانكساف الشمس بعده إشارةً إلى التجلي الجلاي، فاتقوه إن كنتم متقين. وفي هذا التجلي الجلاي والجمالي إشارةً إلى أن مهدي آخر الزمان ومسيح تلك الأوان يوصف بكل نوع فقر وسيادة، ويعطى نصيباً معتداً به من كل سعادة، ويصبغ بصبغ القمرين والشمسين، والجمالين والجلايين، بإذن أحسن الخالقين. فلا تتيهوا في بوادي الوسواس، واعلموا أن مقت الله أكبر من مقت الناس، فلا تتبعوا خطوات الخناس، وأتوني مؤمنين. وأدعو الله أن يهب لكم فهماً وبصراً ولساناً وقلباً وأذناً ووجداناً، ويهديكم ويجعلكم من المهتدين.

اعلموا يا معشر الغافلين أن الله لا يضيع الدين، وقد جرت سنته واستمرت عادته، أنه إذا جاء زمان الظلام وجعل دين الإسلام

غَرَضَ السهام، وطال عليه ألسنةُ الخواصِّ والعوامِّ، واختار الناسُ طرقَ الارتداد، وأفسدوا في الأرض غايةَ الإفساد، فتوجه القيوميَّة الإلهيَّة إلى حفظه وصيانتَه، ويبعث عبداً لإعانتَه، فيجدد دينَ الله بعلمه وصدقه وأمانته، ويجعل الله ذلك المبعوث زكياً وبالفيوض حريّاً، ويكشف عينه ويهب له علماً غزباً طريّاً، ويجعله لعلوم الأنبياء من الوارثين. فيأتي في حُللٍ تُقابلُ حُللَ فساد الزمان، وما يقول إلا ما علّمه لسان الرحمن، وتُعطى له فنون من مبدأ الفيضان، على مناسبات فساد أهل البلدان. ثم لا تعجب من أن روحانية القمر تقبل بعضَ أنوار الله في حالة الانخساف، وروحانية الشمس في وقت الانكساف، فإن هذا من أسرار إلهية، وعجائب ربانية، فلا تكن من المرتابين.

وربما يختلج في قلبك أن القرآن لا يشير إلى رمضان، فاعلم أن الفرقان ذكره على الطريق المحمل المطوي، وهو كاف للبصير الزكي، ولا حاجة إلى تفصيل وتبيين.

وأما إذا سألت شيئاً عن تفصيله، فأعلمك أقلَّ من قليله، فاعلم أن الله تبارك وتعالى أسس نظام الدين من رمضان، فإنه أنزل فيه القرآن، فلما ثبتت خصوصية هذا الشهر المبارك بنظام الدين، وفيه **ليلة القدر** وهو مبدأ لأنوار الدين المتين، وثبت أن العناية الإلهية قد توجهت إلى نظام الخير في رمضان وأجرت الفيضان، فبان أن الله لا يتوجه إلى إعانة النظام في آخر أيام الظلام إلا في ذلك الشهر المبارك

للإسلام. وقد عرفت أن الانخساف والانكساف توجهٌ جماليٌّ وتجلُّ
جلاليٌّ، وفيه أنوارٌ لنشأة ثانية، وتبدلات روحانية، وهو لبنة أولى
لتأسيس نظام الخير وتعمير المساجد وتخريب الدير، وتغلب فيه
القوى السماوية على القوى الأرضية، والأنوار المسيحية على الحيل
الدجالية، ويُرِي اللهُ خَلْقَهُ سراجًا وهاجًا، فيدخلون في دين الله
أفواجًا، وكان قدرًا مقضيًّا من ربِّ العالمين.

القصيدة

قد جاء يومُ الله يومٌ أُطِيبُ
 سبقتُ يدا جبارنا سيفَ العدا
 وأنا المسيحُ فلا تظننَّ غيرهُ
 هل غادرَ الكفارُ من نوع الأذى
 حلَّتْ بأرض المسلمين جموعهم
 إني أرى إيذاءهم وفسادهم
 عينٌ جرتُ من قطرٍ دمعِ عينها
 من كل قناتٍ وجبلٍ شاهقٍ
 وعلى قناتٍ الشاخاتِ مصيبةٌ
 ريح المصايف قد أطالت لهبها
 ما بقي من سبب ولا من رمةٍ
 شبوا لظى الطغوى فبعد ضرامه
 حرقُ كجبلٍ ساطعٍ أسنانه
 إني أرى أقوالهم كأسنةٍ
 أو كابنِ عمِّ المرهفاتِ كالالةٍ
 ظلَّعوا إلى ظلمٍ وزينغٍ حشنةٍ
 وأرى الدنيَّ العولَ يهوي نحوهم
 إبلٌ من الفاقاتِ أُحنقَ صلبها
 ليسوا من الأسرارِ في شيء هدى

بُشرى لذي رُشدٍ يقومُ ويطلبُ
 فترى العدوَّ النَّكسَ كيف يُترَبُّ
 قد جاءك المهدي وأنت تُكذِّبُ
 أم لا ترى الإسلامَ كيف يُذوَّبُ
 وخبيثهم يؤذي النبيَّ ويأشِبُ
 ويذوَّبُ رُوحِي والوجودُ يُثَقَّبُ
 قلبٌ على جمر الغضا يتقلبُ
 وشوامخٍ نسلوا ووُطئَ المِحْنَبُ
 عُظْمى فأين الوهد منهم تهرُبُ
 من سَوْمِها وسهامِها نتعجبُ
 إلا الذي هو قادرٌ ومسببُ
 هاجَ الدخانُ وكل طرف يشغِبُ
 فتنٌ تبِيدُ الكائناتِ وتنهبُ
 تؤذي القلوبَ جروحها وتعذبُ
 أو كالسهامِ المصمياتِ تُتَبِّبُ
 وإلى كلامٍ يُؤذِينُ ويحربُ
 وإلى أشائبِ قومهم يتأشِبُ
 فاختارَ أدياراً لقوتٍ يكسبُ
 ما إن أرى من بالدقائق يَأْرَبُ

عَلِهَتْ قُلُوبُ الْمُنْكَرِينَ وَأُنْبُوا
 كَانُوا عَلَيْهَا قَائِمِينَ وَثُرِبُوا
 أَنْ الْمُهَيْمِنَ يُخْزِينَ مَنْ يَنْكُبُ
 هَلْ يَسْتَوِي الْأَتَمِيُّ وَرَجُلٌ أَحْوَبُ
 طَلِقٌ لَذِيذٍ وَالرَّوَاعِدُ تَصْخَبُ
 بَيْضٌ كَأَنَّ نَعَاجَ وَاذٍ تَسْرُبُ
 أُخْرَى كَأَرَامِ تَمِيسُ وَهَرَبُ
 وَالرَّيْحُ كَلَّتْهَا لِيُنْهَى الْأَجْنَبُ
 وَكَمَثَلْنَا بَزْوَالِ نَوْرِ يَرَعْبُ
 يَبْكِي كَرَجَلٍ يُنْهَبِنُ وَيُخَيِّبُ
 مِثْلِي فَيَدْرِكُكَ النَّصِيرُ الْأَقْرَبُ
 إِنْ الْبَلِيَّةَ لَا تَدُومُ وَتَذْهَبُ
 فَلِكُلِّ نَوْرٍ حَافِظٌ وَمُؤَرَّبُ
 مِنْ بُرْهَةٍ أَرْنُو الدُّجَى وَأُعْذَبُ
 وَالصَّبْرُ خَيْرٌ لِلْمَصَابِ وَأَصُوبُ
 مِنْ مِثْلِكَ الْأَوَابِ هَذَا أَعْجَبُ
 وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَقْدَةٌ وَمُجْرَبُ
 سِرْنَا بِجَوْفِ اللَّيْلِ يَا مُتَأَوِّبُ
 أَبْدَى نَظِيرِي فِي السَّمَاءِ فَأَطْرَبُ
 كَطَلِيحِ أَسْفَارِ السَّرَى يَتَطَرَّبُ

ما آمنوا حتى إذا خَسَفَ الْقَمْرُ
 يئسوا من الرحمن والكليم التي
 أو لم تكن تدري قلوب عدا الهدى
 أو لم تكن عين البصير رقيبنا
 ظهرت علامات الخسوف بليلة
 متفرقة غيم السماء وزجله
 طوراً يرى مثل الضباء بحسنها
 قمر كظعن والسحاب قرامها
 صبت على قمر السماء مصيبة
 إني أرى قطراً لديه كأنه
 يا قمر زاوية السماء تصبرن
 أبشر سينحسر الظلام بفضله
 إن المهيمن لا يضيع ضيائه
 هذا ظلام الساعتين وإنني
 تلج السحاب لتبكين تألماً
 ذرفت عيونك والدموع تحدرت
 هلا سألت مجرباً عند الأذى
 تبكي على هذا القليل من الدجى
 أثنى على رب الأنام فإنه
 قمر السماء مشابه بقريحتي

فَطَلَبُ هِدَاةٍ وَمَا أَخَالَكَ تَطَلُّبُ
 آيَاتِهِ الْعِظْمَى فَتَوَبُوا وَارْتَهَبُوا
 شَاقَتَكَ جَلُوتَهُ وَفِيهَا تَرَعَبُ
 إِرْزَامُهَا فِي كُلِّ حِينٍ يُعْجَبُ
 رَعْدُ كَمَثَلِ الصَّالِحِينَ يُؤَوِّبُ
 وَجْهَهُ كَغَضْبَانٍ يَهُولُ وَيُرْعَبُ
 كَيْفَ عَلَى أَيْدِي الَّتِي هِيَ تَعْضَبُ
 لَيْلٌ مِنْيرٌ كَافِرٌ فَتَعَجَّبُوا
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا مِثْلُ طَلَلٍ يَشْحَبُ
 إِنْ أَرَاهَا مِثْلَ دَارٍ تُخْرَبُ
 عَفَتِ الْإِنَارَةُ مِثْلَ مَاءٍ يَنْضَبُ
 ضَاهَتْ نَذِيرًا يُكْفَرَنَّ وَيُكْذَبُ
 أَلْقَتْ يَدًا فِي اللَّيْلِ أَوْ هِيَ كَوَكْبُ
 قَامَا كَشَهْدَاءِ وَزَالَ الْهَيْدَبُ
 وَأَنَارَ وَجْهَهُمَا وَزَالَ الْعَيْهَبُ
 أَنْ السَّنَا بَعْدَ الدَّجَى مُتْرَقَبُ
 غَرَبًا وَنِيرٌ دِينَنَا لَا يَغْرُبُ
 وَاللَّهُ إِنْ مُرْسَلٌ وَمُقَرَّبُ
 فَاتُوا بِمِثْلِ قَصِيدَتِي وَتَعَرَّبُوا

نَصَعَتْ مَقَاصِدُ رَبَّنَا بِخُسُوفِهِ
 ظَهَرَتْ بِفَضْلِ اللَّهِ فِي بِلْدَانِنَا
 قَمَرٌ كَمَثَلِ ظُعِينَةٍ فِي ظَعْنِهَا
 وَدَقُّ الرُّوَاعِدِ قَدْ تَعَرَّضَ حَوْلَهُ
 غَيْمٌ كَأَطْبَاقٍ تَصِيرُ حَيَامُهُ
 قَمَرٌ بِجَلِيلَتِهِ مُشَاكِهَةَ الدَّمِ
 فِي جَلْهَتَيْهِ بَدَا السَّحَابُ كَأَنَّهُ
 قَدْ صَارَ قَمَرُ اللَّهِ مَطْعُونَ الدُّجَى
 إِنْ أَرَاهُ كَنْوَيْ دَارٍ خَرَبَةٍ
 كَسَفَتْ ذُكَاءُ اللَّهِ بَعْدَ خُسُوفِهِ
 كَسَفَتْ وَظَهَرَ الْكَدْرُ فِي أَجْزَاعِهَا
 حَتَّى انْتَنَتْ فِي السَّاعَتَيْنِ كَكَافِرٍ
 وَتَبَيَّنَتْ صُورُ الظَّلَامِ كَأَمَّا
 النَّيِّرَانِ تَجَاوَبَا فِي أَمْرِنَا
 لَمَّا رَأَيْتُ النَّيِّرَيْنِ تَكْسَفَا
 فَفَهَمْتُ مِنْ لَطْفِ الْكَرِيمِ بِخَطِّي
 النَّيِّرَانِ يُبَشِّرَانِ بِنَصْرِنَا
 يَا مَعْشَرَ الْأَعْدَاءِ تَوَبُوا وَاتَّقُوا
 إِنْ كَانَ زَعْمُ الْعِلْمِ عَلَّةً كَبِرْكُمْ

هذا ما أردنا لإزالة أوهامكم وتسكيتكم وإفحامكم، فاقطعوا خصامكم واجتنبوا آثامكم، وفكروا على وجه الجدِّ لا العبث، واخشوا جلال الله لا قولَ الشيخ والحَدِّث. وأيها الشيخ ضعيف النظر، تُبِّ فإنك عن الحق تميل، وتعالَ أُعالِجُ عينك وعندي الكُحْلُ والميل، ويزيل الله بلبالك، ويصلح ما عَرَى بالك، إن كنت من الطالبين. ولا تقلْ إني أعلم علوماً كذا وكذا، فإننا نعرفك ونعلم من أنت ولا تخفى، وعهدي بك سفيهاً، فمتى صرت فقيهاً؟ ألا تترك فضولك ولا تغادر غولك؟ أَلستَ من المستحيين؟

وقد طويتُ ذكر أخبار المهدي في هذا الكتاب، فإني فصلَّته في كتب أخرى للأحباب، إلا أنني ذكرتُ في هذا آيةً عظيمة هي أوَّلُ علامة لظهوره وأوَّلُ سهمٍ من الله لتأييد مأموره، فإن النـيـرَينِ قد خسفا، ورآهما كل ذي عينين، فنابا منابَ عدلين، فتوبوا واذكروا قولَ سيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، وقد حصحص الصدق فلا ينكره إلا متَّبِع المين. فلا تفرحوا بما لديكم، ولا تصفَّقوا بيديكم، ولا تمشوا مزهويين مرحين متغامزين بعينيكُم، ولا تغرِّدوا بملءِ شدِّقِكُم، ولا ترقصوا ولا تخالفوا بين رجلِكُم، فإن الله قد أخزاكم وأراكم جزاء اشتطاطكم، وعاداكم فلا تحاربوا الله إن كنتم متِّقين.

وإن كنتم تظنون أن المهدي والمسيح يخرجان بالسيف والسنان ويصبغون [♦] الأرض بالسفك والإثخان، فما نشأ هذا الوهم إلا من

♦ سهو، والصحيح: "ويصبغان". (الناشر)

سوء جهالاتكم وزيف خيالاتكم، وما كان الله مُهْلِكَ أهل الأرض قبل إتمام الحجّة وتكميل الموعدة. أَيْهْلِكُ عباده وهم كانوا غافلين غير مطّلعين؟ ألا ترون المغرّيبين من الأقوام الإنكليزية والملل النصرانية.. ما بلغهم شيء من معارف القرآن ودقائق الفرقان، وتالله إنهم كالصبيان غافلون من أسرار دين الرحمن. أيجوز قتل الصبيان عندكم؟ بينوا إن كنتم تعلمون قوانين الدين المتين.

ستقولون هذا دجال يخالف عقائدنا القديمة ويبدّل الأصول العظيمة، فاعلموا أن الله لا يُنزل آياته لتأييد الدجال، ولا يؤيد من كان أهل الضلال. فاعلموا أنني لست بكذاب ولا أتبع طرق تباب، ولكنكم كنتم قومًا عمين. والله يعلم ما في قلبي وقلوبكم ويعلم الكاذبين. يؤخّر الذين عصوا لأجل معدود، فإذا تمّت الحجّة وانكشفت المحجّة، فيتوجه رجزُ الله إلى العادين. سنّةٌ قد خلت من قبل، ألا ترون سوانح المرسلين؟

ثم إنكم تعلمون أنّ الذين جعلهم الله حاكمين في دياركم لا ترون منهم إلا كرم الطبع، ولا يؤذونكم باللّدع والقذع، وإذا تحكّموهم فيعدلون، ويحقّقون ولا يعدّلون، ويحافظون ولا ينهبون، وإذا سألتموهم فيعطون ولا يمتنعون. ولا شكّ أنهم يُحسنون ولا يظلمون، ولا يمتنعوننا من شعائر ديننا أينما يُعقد شِيعٌ أو يُشدّ نسعٌ، ولا ييطشون جبّارين. فأحسنوا إلى الذين أحسنوا إليكم، والله يحبّ المحسنين. واشكروا الله أنه أعطاكم حُكّامًا لا يؤذونكم في دينكم،

ولا يـزجرونكم من إشاعة براهينكم، ففكّروا ولا تعثوا في الأرض مفسدين. وإن كنتم تبكون من صفر يديكم ومرقع نعليكم، فعسى أن يُغنيكم الله من فضله ويعطيكم من مننه، فتوبوا إليه وأصلحوا فإنه يتولى الصالحين. قوموا لإشاعة القرآن وسيروا في البلدان، ولا تصبوا إلى الأوطان، وفي البلاد الإنكليزية قلوب ينتظرون إعانتكم، وجعل الله راحتهم في معاناتكم، فلا تصمتوا صموتَ مَنْ رأى وتعامى، ودُعي وتحمى. ألا ترون بكاء الإخوان في تلك البلدان وأصوات الخلان في تلك العمران؟ أصرتم كالليل وصار كسلّم كالداء الدخيل، ونسيتم أخلاق الإسلام ورفق خير الأنام، وصارت عادتكم سُهُومة المُحيّا، وسُهُوكة الرّيا، ويُبرّحكم السيرُ المطوّح من البنات والبنين. قوموا لتخليص العانين وهداية الضالين، ولا تكبّوا على سيفكم وسنانكم، واعرفوا أسلحةَ زمانكم، فإن لكل زمان سلاح آخر وحرب آخر، فلا تجادلوا فيما هو أجلى وأظهر. ولا شك أن زماننا هذا يحتاج إلى أسلحة الدليل والحجة والبرهان، لا إلى القوس والسهم والسنان، فأعدّوا للأعداء ما ترون نافعا عند العقلاء. ولن يمكن أن يكون لكم الفتح إلا بإقامة الحجّة وإزالة الشبهة، وقد تحركت الأرواح لطلب صداقة الإسلام، فادخلوا الأمر من أبوابه ولا تتيهوا كالمستهم. فإن كنتم صادقين وفي الصالحات راغبين، فابعثوا رجلاً من زمرة العلماء ليسيروا إلى البلاد الإنكليزية كالوعضاء، ليتمّوا على الكفرة حُججَ الشريعة الغراء، ويؤيدوا زمرة الأصدقاء،

ويقوموا لهم معاونين. والأمر الذي أراه خيراً وأنسب وأصلح وأصوب، فهو أن يُنتخب لهذا المهم رجل شريف عارف لسان الإنكليزية كحبي في الله المولوي حسن علي، فإنه من ذوي المهمة وإنه صالح لهذا ◆ الخطة، ومع ذلك تقيّ زكيّ وجريّ لإشاعة الملة. ولكن هذه المنية لا تتم إلا بهم رجال ذوي مال، الذين يبذلون جهدهم لخدمة القوم ولا ينظرون إلى اللائم واللوم. وتعلمون أن هذا السفر يحتاج إلى زاد يكفي، ورفيق يعلم العربية ويدري، فعاونوا بأموالكم وأنفسكم إن كنتم تحبون الله ورسوله، ولا تقعدوا مع القاعدين.

واعلموا أن الإسلام مركزٌ وعمود للعالم الإنساني، لأن الملك الجسماني ظلٌّ للملك الروحاني، وجعل الله سلامته في سلامته وكرامته في كرامته، وكذلك جرت سنة رب العالمين. وإن الله إذا أراد أن يُعلي قوماً فيجعل لهم هِمماً في الدين، وغيره للصراط المتين، فقوموا للأعداء، ولكن لا كالسّفهاء، بل كالعقلاء والحكماء، ولا تتخيروا ظُلماً ولا يخطرُ في بالكم هواه، بل أطيعوا الله وأشيعوا هُداه، والله يحبّ الطاهرين. فالرجاء من حميتكم الإسلامية وغيرتكم الدينية أن أعدّوا الأسباب كالعاقلين لا كالجاهلين والمجانين. ولا شك أن تفهيم الضالين الغافلين واجب على العلماء العارفين، فقوموا لله وأشيعوا هُداه، ولا تؤمّلوا عليها جزاءً من سواه. وأرسلوا في تلك

الديار وبلاد أهل الإنكار رجُلَيْنِ عَارِفَيْنِ، وإن كنتم تشاوروني
وتسألوني فقد قلتُ وبيّنتُ لكم اسم رجل رأيتُ فضله وعلمه
ومتانته وحلمه برأي العين. نعم إنّه يحتاج إلى رفيق آخر أو رفيقَيْنِ
من الذين كانوا في لسان العرب ماهرين، وفي علم القرآن متبحرين،
فأعينوه في هذا يا معشر المسلمين. فإن فعلتم وكما قلتُ عملتم،
فتبقى لكم مآثرُ الخير إلى آخر الزمان، وتُبَعَثُونَ مِنْ أَحْبَاءِ الرَّحْمَنِ،
وتُحَشَّرُونَ فِي عِبَادِ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ، فَاسْمِحُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، وَقَوْمُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ.

أقول لكم مثلاً فاستمعوا له كالمُنصِفِينَ. كلُّ رجلٍ يرضى أن يبذل
كلَّ ما يملكه لينجو مثلاً من مرض احتباس الضُّرَاطِ، فما له لا
يرضى لإعانة الدين والصراط؟ أليس عنده قدرُ الصرَاطِ كقدر
الضرَاطِ؟ فَتَفَكَّرُوا كالمستحيين. ثم إعانة الدين من أعظم وسائل
الفلاح وذرائع الصلاح، مع جميل الذكر وطيب الثناء واللحوق
بالأولياء. ليس من البرِّ أن يكفِّرَ بعضكم بعضاً، ويعتدي كذوي
العدوان، ويترك أعداءَ خيرِ الإنس والجانِّ، ولكن البرِّ مَنْ جاهد في
سبيلِ اللَّهِ بجهدٍ يناسب طورَ الزمان، فاطلبوا عملاً مبروراً عند اللَّهِ
إن كنتم تطلبون مرضاة الرحمن، وخُذُوا سِيرَ الصَّالِحِينَ.

يا معشر الإخوان.. قد ضعف ديننا الذي ما يسبقه النِّيْرَانِ،
وكثر الفساد في الزمان، وهذا أمر لا يختلف به اثنان، ولا تنطق
بما يخالفه شفتان، وترون أن القوم قد وقعوا في أنيابِ غُولِ

الضلال وبدت الوجوه على أقبح الحال، وقد ضعُفنا في كَلِيَّاتنا
وجُزِيَّاتنا، فالعياذ بالله من شر المآل. وليس لنا وسيلة لرفع هذه
الغوائل والوبال، من غير رفع كَفِّ الابتهاال، فقد جاء وقت بذل
الهمّة وصرف الحميّة والغيرة كالرجال، وإن لم تسمعوا فعليكم ذنب
الغافلين. ألا ترون إلى شؤوننا المتنزلة، وأيامنا المدبرة، ومصائبنا
اللاحقة؟ ما نزلت هذه البلايا إلا لغفلتنا وتغافلنا في ملتنا، وعسى أن
يرحم الله إن كنتم تائبين.

ومن ذهب إلى البلاد الإنكليزية خالصا لله فهو أحد من الأصفياء،
وإن تدركه الوفاة فهو من الشهداء. فيا حُماة الملة، ويا أهل الغيرة
والحميّة، ويا نُصراء الشريعة المحمدية، اعرفوا الزمان فإن الحين قد
حان، وهذا هو الزمان الذي كنتم تؤمّلونه، وهذا هو الأوان الذي
ما زلتم ترجونه، وهذا هو المهدي الذي تنتظرونه. إن القمر
والشمس ينخسفان، والليل والنهار يشهدان، فهل أنتم تأتونني يا
معشر الإخوان أو تولّون مُدبرين؟ ها أنتم وجدتم ما كنتم فقدتم،
فبادروا إلى الفضل الذي نزل إليكم، والمجدد الذي بُعث لديكم، فلا
تشكّوا ولا ترتابوا، وقوموا بهمم زول بها الجبال وتهرب الأفيال، ولا
تحقرّوا أيام الله فيحلّ بكم غضبه ويتوجه إليكم لهبه، فاتقوا مقت الله
ولا تتكلموا مجترئين.

وإني سمعت أن بعض الجهلاء وطائفة من السفهاء، يقولون إن
الخشوف والكسوف في رمضان، وإن كنا نجد مؤيّدَه الفرقان، ومع

ذلك يوجد في الأخبار ويتلى في الآثار، ولكننا لسنا بمطمئنين وعالمين بأنه ما وقع في أول الزمان، وما ثبت غرابته عند أهل الأديان، فكيف نكون مستيقنين؟

أما الجواب فاعلموا أيها الجهلاء والسفهاء، أن هذا حديث من خاتم النبيين وخير المرسلين، وقد كُتب في الدارقطني الذي مرّ على تأليفه أزيد من ألف سنة، فاسألوا المنكرين. فإن كنتم من المرتابين فأخرجوا لنا كتاباً أو جريدة يوجد فيه دعواكم ببرهان مبين، وأتوا بقائل يقول إني رأيت كمثل هذا الخسوف والكسوف قبل هذا إن كنتم صادقين. ولن تستطيعوا ولن تقدرُوا على ذلك، فلا تتبعوا الكاذبين.

ألم تعلموا أن علماء السلف كانوا منتظرين لهذه الآية وراقبي هذه الحجة قرناً بعد قرنٍ وجبلةً بعد جبلة؟ فلو وجدوها في قرن لكانوا أوّلَ الذاكرين في كتبهم وما كانوا متناسين. فإنهم كانوا يعظّمون هذا الخبر المأثور، ويحصّون في رقبته الأيام والشهور، وينتظرونه كالمغرمين، وكانوا يحنّون إلى رؤية هذه الآية، ويحسبون رؤيتها من أعظم السعادة، فما رأوها مع مساع كثيرة وأنظار متتابعة أثيرة، ولو رأوها لذكروها عند ذكر هذه الأخبار وتدوين هذه الآثار. وأنت تعلم أن تأليفاتهم سلسلة متتابعة لا يغادر قرناً من القرون إلى زماننا الموجود المقرون، ومع ذلك لا تجد فيها أثراً من ذكر وقوع هذه الآية. أفأنت تظن أنهم ما ذكروها من حُجب الغفلة؟ وإن كنت

تزعم كذلك فهذا بهتان مبين. وكيف تظن هذا وأنت تعلم أنهم كانوا حريصين على جمع حوادث الزمان، ومجهشين بتدوين ما لحقها النيران، فمن زعم أنه وقع في وقتٍ من الأوقات، فقد تبع المفتريات، وآثر على قول رسول الله ﷺ أراجيف الكاذبين. وها أنا أقول على رؤوس الأشهاد لجميع أهل البلاد، أنه من أنكر هذه الآية من ذوي شئانٍ، فليس عنده من برهان، ولا يتكلم إلا من ظلم وعدوان، فإن عندنا شهادة كلِّ زمانٍ. الكتب موجودة، والمعاذير مردودة، وقد كتبنا هذا لإيقاظ النائمين.

أيها الناس.. اقبلوا أو لا تقبلوا، إن الآية قد ظهرت، والحجة قد تمت، ولن تستطيعوا أن تُخرجوا لنا نظيرا آخر لهذا الخسوف والكسوف، فلا تُعرضوا عن آية الله الرحيم الرؤوف. وهذا آخر كلامنا في هذا الباب، ونشكر الله على تأليف هذا الكتاب، ونصلي على رسوله خاتم النبيين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القصيدة

فَدَثَكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ
 رَأَيْنَا آيَةً تَسْقِي وَتُرْوِي
 رَأَيْنَا النَّيِّرِينَ كَمَا أَشْرَتْنَا
 بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ خَسَفَا وَكَانَا
 أَتَانَا النَّصْرَ بَعْدَ ثَلَاثِ مِئَةٍ
 بَدَأَ أَمْرٌ يُعِينُ الصَّادِقِينَ
 بَدَأَ بَطْلٌ يُجَارِبُ كُلَّ خَصْمٍ
 فَلَيْسَ لِمَنْكَرٍ عَذْرٌ صَحِيحٌ
 فَهَذَا يَوْمٌ تَهْنِئَةٌ وَفَتْحٌ
 إِذَا مَا عَيَّ قَوْمِي مِنْ جَوَابٍ
 وَقَالُوا آيَةٌ لِبَنِي حُسَيْنٍ
 فَقُلْتُ اخْشَوْا إِلَهًا ذَا جَلَالٍ
 وَلَا يَدْرِي الْخَفَايَا غَيْرَ رَبِّي
 وَأَيُّ ثَبُوتٍ نَسَبٍ عِنْدَ قَوْمٍ
 وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ كَمَثَلِ وُلْدٍ
 فَتَوَبُوا وَاتَّقُوا رَبًّا قَدِيرًا
 وَمَنْ رَامِي فَأَيْنَ يَفِرُّ مِنَّا
 وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا غَيْرَ كَدْرٍ
 أَتَانِي الصَّالِحُونَ فَبَايَعُونِي
 رَأَيْنَا نَوْرَ نَبِيِّكَ فِي الظَّلَامِ
 وَتَشْفِي الْغَافِلِينَ مِنَ السَّقَامِ
 قَدْ انْخَسَفَا لِتَنْوِيرِ الْأَنَامِ
 شَرِيكِي مَحَنَ أَيَّامِ الصِّيَامِ
 وَبَعْدَ مَرُورِ مُدَّةِ أَلْفِ عَامٍ
 وَلَا يُبْقِي شَكُوكَ ذَوِي الْخِصَامِ
 وَيَضْرِبُ بِالصَّوَارِمِ وَالسَّهَامِ
 سِوَى التَّسْوِيلِ زُورًا كَالْحَرَامِ
 وَتَنْجِيَةِ الْخَلَائِقِ مِنْ أَثَامِ
 فَمَالُوا نَحْوَ هَذَا كَالْجَهَامِ
 وَمِنْهُمْ نَرَقُبُنَّ بَعَثَ الْإِمَامِ
 وَفِرُّوا نَحْوَ عَيْنِي بِالْأَوَامِ
 وَمَا الْأَقْوَامُ إِلَّا كَالْأَسَامِ
 سِوَى الدَّعْوَى كَأَوْهَامِ الْمَنَامِ
 وَرَثْنَا كُلَّ أَمْوَالِ الْكِرَامِ
 مَلِيكَ الْخَلْقِ وَالرَّسْلِ الْعِظَامِ
 وَإِنَّا النَّازِلُونَ بِأَرْضِ رَامِي
 وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا وَشَلَّ الْإِجَامِ
 وَخَافُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ

ولعنوني وما فهموا كلامي
وقالوا كافرٌ للكُفْرِ كامي
وإن الله للصدِّيقِ حامي
وللشيطان صاروا كالغلامِ
فدَتَ نفسي نبيًّا ذا المقامِ
أرى قلبي له كالمستهمِ
وصار لمُهْجتي مثل الطعامِ
ويأمنُ مكرَ ربِّ ذي انتقامِ
وقلنا الحق من غيرِ احتشامِ
بيشّر ذو العجائب من قدامي
عليم قادر كهفي مرامي
أأنت تُعَادِينِ سبيلَ السلامِ
تُريك كما يُرى برق الحُسامِ

وأما الطالحون فأكفروني
وأفتوا بالهوى من غيرِ علمِ
وصالوا كالأفاعي أو ذئابِ
لقد كذبوا وخلاقني يراهم
فلا والله لستُ ككافرينا
وأصباني النبيُّ بحسنِ وجهِ
وذكرُ المصطفى رَوْحُ لقلبي
وخصمي يجلَعَنُ من غيرِ حقِّ
سيبكي حين يُضحِكنا القديرُ
يخينني عدوي من ورائي
وإني سوف يدركني إلهُ
أأنت تُكذِّبُنَ آياتِ ربي
لنا من ربنا نور عظيم